أسلوب السخرية: نظرياته وإشكالياته

Irony: its Theories and Problems

د. مشاري عبد العزيز الموسى(*)

الملخص:

يدرس البحث أسلوب السخرية دراسة تنظيرية تأصيلية، وهو أسلوب ما زال غير واضح المعالم في الدرس النقدي العربي لحداثته على أساليب البلاغة العربية، مما جعل الدراسات العربية لأسلوب السخرية دراسات تطبيقية تفتقد للجانب النظري التأصيلي. يستعرض البحث أهم النظريات الأجنبية لأسلوب السخرية بتسلسل تاريخ ابتداء من أطروحة هربرت جرايس في سبعينيات القرن الماضي ثم ما لحقها من نظرية الإشارة لويلسون وسبيربير، ونظرية التظاهر لكلارك وجيريق، ونظرية الاستدعاء لكروز وجلوكسبيرج، ونظرية النفي غير المباشر لجيورا، ونظرية عدم الملاءمة ذات الصلة لأتاردو، مع إبراز الملامح الأساسية لكل نظرية، ثم يقدم البحث اقتراحات لحل إشكاليات تلك النظريات من حيث تعريف أسلوب السخرية واستبدال المعنى الساخر وقلبه، والمستهدف به، والمديح والذم، والوظيفة التقريرية.

كلمات مفتاحية: أسلوب السخرية، النقد، البلاغة العربية.

Abstract:

This paper examines theories of irony, which has not been thoroughly studied in Arabic literature and rhetoric studies because it is relatively new as a figure of speech in Arabic rhetoric. This is why Arabic studies of irony are mostly practical ones with lack of theoretical foundations. First, this paper starts with tracking irony in Arabic literary studies. Second, it moves to track irony in English irony theories, which includes the thesis of Grice, mention

* – أستاذ مشارك – جامعة الكويت.

theory by Wilson and Sperber, the pretense theory by Clark and Gerrig, reminder theory by Kreuz and Glucksberg, indirect negation by Giora, and relevant inappropriateness by Attardo. The paper examines these theories and points out the significant features in each of them, and then the paper discusses unsolved theoretical problems of irony and offers some solutions.

Keywords: irony, critticism, Arabic rhetoric.

١. تمهيد:

ليست السخرية موضوعا حديثا، وإنما على العكس تماما، إنها موضوع قديم جدا، ذكرها ماركوس كينتيليانوس (Marcus Quintilianus) منذ ما يزيد عن ألفي سنة ووصفها قائلا: "[في] السخرية... نحن نفهم شيئا يعاكس ما قد قيل في الواقع" (Quintilian, 2015, p. 44).[١] وقد ظلت السخرية لا تتجاوز هذا المفهوم، فكانت منذ ذلك الحين إلى سبعينيات القرن الماضي حينما درسها واين بوث (Wayne Booth) في كتابه الشهير (A Rhetoric of Irony) (Booth, 1974; Hutcheon, 1992) الذي يمكننا ترجمته بـ "بلاغة السخرية" محصورة ببساطة شديدة في أن يذكر المتكلم ألفاظا يريد عكس معناها، غير أنه في الربع الأخير من القرن الماضي بدأ الخطاب النقدي يكشف لنا عن نظريات جديدة في أسلوب السخرية، فأصبح أسلوب السخرية لا يمكن اختزاله في ذلك المفهوم الضيق. هذا كان على صعيد الدراسات الأجنبية. أما على صعيد الدراسات العربية، فلم نجدها مواكبة لنظيراتها الأجنبية. سوف نتتبع أسلوب السخرية في الدراسات العربية أولا ثم ننتقل إلى نظيراتها في الدراسات الأجنبية.

٢. الدراسات العربية:

على الرغم من أن الدراسات العربية التي تناولت موضوع "السخرية" كثيرة، يجدر بنا أن نفرق بين قسمين: قسم تناول موضوع السخرية بمعناها اللغوي الشائع بين الناس، كما يقول أستاذ لتلاميذه: توقفوا عن السخرية من زميلكم. فالسخرية هنا بمعنى الضحك والاستهزاء (ابن منظور، ١٩٨١، مادة: سخر). وقسم آخر تناول السخرية باعتبارها أسلوبا بلاغيا كالذي نحن بصدده. من أمثلة القسم الأول كتاب التصوير الساخر في القرآن الكريم

لعبدالحليم حفني (حفني، ١٩٩٢، ص ١٤)، فهو لا يعرف السخرية إلا بقوله: "السخرية هي كل ما يؤدي إلى الاستهزاء والتحقير وليس لها صورة أو سلوك معين". وكذلك دراسة محمد العسكري بعنوان "سخرية الماغوط في العصفور الأحدب" (العسكري، ٢٠١٢)، فالسخرية التي يقصدها هي الفكاهة والهزل الذي يثير الضحك لدى المتلقي. حافظ كوزي عبدالعالي أيضا قدم دراسة بعنوان السخرية الهادفة في شعر أحمد مطر (عبدالعالي، ٢٠١٢)، فيتناول تمثلات سخرية الشاعر أحمد مطر من السلطة ومن الزمن، والمقصود بالسخرية هنا ما يدعو إلى الضحك والمرح وما يحمل روح الدعابة. ففي الدراسات السابقة يكشف أصحابها عن مواضع الضحك والفكاهة في النصوص محل الدراسة.

أما القسم الثاني فالسخرية لديه أسلوب بلاغي. وكان أول هؤلاء مجدي وهبة وزميله في سبعينيات القرن الماضي، وقد عرفا أسلوب السخرية بأنها "طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل كقولك للبخيل: ما أكرمك" (وهبة، ١٩٧٤، ص ١٩٨). وهو تعريف موفق إلى حد كبير آنذاك، لأنه يتوافق مع ما كان سائدا في الدرس النقدي الأجنبي لا سيما إذا وضعنا في عين الاعتبار أن كتاب مجدي وهبة وزميله هو معجم مصطلحات أدبية لغوية ينقل للقارئ العربي مفاهيم المصطلحات. إميل يعقوب وزميله في معجمهما المفصل الواسع ذكرا السخرية وعرفها بقولهما: "هي في الأدب اعتماد ألوان الهزء وصنوف الدعابة والهزل والمزاح" (يعقوب، ١٩٨٧، ص ٧١١). وهو تعريف من الوهلة الأولى يذكرنا بمفهوم القسم الأول للسخرية بمعنى الضحك والفكاهة. ولكن يعقوب وزميله يكملان قائلين: "السخرية لم تكن من طبيعة النمط التراثي في الأدب العربي"، فهما يقصدان السخرية باعتبارها أسلوبا بلاغيا لا باعتبارها دعوة إلى الضحك والمرح. وبهذا يكون تعريفهما للسخرية تعريفا حائرا غير مستقر. والسبب في ذلك أن مفهوم أسلوب السخرية في ثمانينيات القرن الماضي، وهو وقت نشر إميل يعقوب وزميله لمعجميهما، كان لا يزال في خضم التبلور والنضوج في الدراسات الأجنبية. حريٌّ بنا كذلك أن نتوقف عند وصف يعقوب وزميله لأسلوب السخرية بأنه ليس "من طبيعة النمط التراثي في الأدب العربي"، فإن أسلوب

السخرية أسلوب حديث باعتباره مصطلحا لم تعرفه البلاغة العربية سابقا. لهذا لا نجد له ذكرا عند أحمد مطلوب في معجمه الكبير: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (مطلوب، ١٩٨٦). فاطمة العفيف قدمت مؤخرا دراسة لأسلوب السخرية عند ثلاثة من الشعراء وخصصت قسما للحديث عن المعنى الاصطلاحي لأسلوب السخرية (العفيف، ٢٠١٦). ذكرت العفيف عددا من التعريفات لمن سبقها من الباحثين مثل الذين أوردتهم آنفا سواء من باحثي القسم الأول أو باحثي القسم الثاني، وهي تعريفات عامة جدا وضبابية وليست متجانسة، مما أوقع العفيف في حيرة من أمرها، وهي تؤكد ذلك قائلة: ثمة "اضطراب في مفهوم السخرية"، ثم نجد أن الباحثة تنتقل إلى الجانب التطبيقي في دراستها من دون أن تقدم لنا تعريفا إجرائيا واضحا للسخرية.

يتبين جلياً افتقار الدرس النقدي البلاغي العربي إلى تأصيل نظري لأسلوب السخرية. تسعى دراستنا إلى المساهمة في سد هذه الفجوة، مما سيمهد الطريق لمزيد من الدراسة النظرية لأسلوب السخرية لدى الباحثين العرب، وكذلك سيكون له أثر إيجابي على الدراسات التطبيقية العربية مستقبلا.

٣. **الدراسات الأجنبية**:

نتتبع هنا تطور مفهوم أسلوب السخرية في الدرس النقدي الأجنبي، ونتوقف عند أهم الأطروحات والنظريات حوله، وهي أطروحة هربرت جرايس، ونظرية الإشارة، ونظرية التظاهر، ونظرية الاستدعاء، ونظرية النفي غير المباشر، ونظرية عدم الملاءمة ذات الصلة.

٣. ١. **أطروحة هربت جرايس**:

نشر هربرت جرايس (Herbert Grice) في سنة ١٩٧٥ دراسة له بعنوان (Logic and conversation) (Grice, 1975)، يرى جرايس أن السخرية أسلوب بلاغي يورد المتكلم فيه ألفاظا يريد عكس معناها. وهو تعريف لا يختلف عن التعريف التقليدي. على سبيل المثال عندما يقول عيسى لصديقه بعد أن قدم له مقالة مليئة بالأخطاء: "إنها مقالة سليمة بليغة"، فإن المتكلم (عيسى) يريد إيصال رسالة مفادها "إنها مقالة خاطئة ركيكة". يطرح جرايس

فكرة "خرق السائد" (breach of the maxim)، فإن المتلقي عندما سمع ألفاظ المتكلم علم أن معنى هذه الألفاظ لا يعبر عن حقيقة ما يجري. فيبدأ المتلقي بالابتعاد عن المعنى الظاهر للألفاظ وبالبحث عن مقصود المتكلم. ففي مثالنا السابق، عندما سمع الصديق كلام عيسى وهو يعلم أن مقالته مليئة بالأخطاء لم يقبل ذلك المعنى الظاهر الأولي للألفاظ، وأخذ يبحث عن معانٍ أخرى للوصول إلى المعنى الذي يريده عيسى. يجعل جرايس عملية تلقي أسلوب السخرية لدى المتلقي لإدراكها ثنائية المرحلة، يقوم المتلقي أولاً برفض تقبل المعنى الظاهر لعلمه أن المتكلم قد خرق السائد، ثم يقوم ثانيا بالبحث عن معنى بديل. يشترط جرايس في أسلوب السخرية، أو لنقل في أسلوب السخرية الناجح، أن يكون في الأسلوب ما يدل على معاني العداء مثل السخط أو الكره أو الازدراء، ويشرح مقصوده بهذا المثال: ""س" و"ص" كانا يمشيان في الشارع، فوجدا سيارة مهشمة الزجاج، فقال "س": "انظر، إن زجاج السيارة سليم". وقع "ص" في حيرة من أمره. فقال "س": لم تفهم كلامي، كنت أتكلم بطريقة ساخرة لألفت انتباهك إلى الزجاج المهشم" (Grice, 1975, p. 53).[٢] أسلوب السخرية في المثال السابق فشل في تحقيق هدفه، وذلك لعدم وجود ما يدل على غرض الذم بشكل عام بما يشمله من ازدراء أو تحقير أو استهزاء. وعلى الرغم من أن أطروحة جرايس لم تخرج عن إطار المنهج التقليدي في التعاطي مع أسلوب السخرية، فقد حظيت دراسته باهتمام كبير لدى الباحثين، فكانت النواة الأولى لكثير من الدراسات التالية.

٣. ٢. نظرية الإشارة:

في سنة ١٩٨١ طرح دان سبيربير (Dan Sperber) وديبدري ويلسون (Deirdre Wilson) نظرية الإشارة (mention theory) (Sperber and Wilson, 1981). رفضا أن يُنظر إلى أسلوب السخرية بأنه ألفاظ يكون المعنى المراد فيه نقيض المعنى الحرفي لتلك الألفاظ. وعرضا تصورا جديدا وهو أنه في أسلوب السخرية يكون المعنى الذي يريده المتكلم هو المعنى الحرفي لما يتلفظ به، ولكن هذا المعنى الحرفي ليس لإيصال الفكرة التي تدور في ذهن المتكلم، وإنما هي ألفاظ يذكرها المتكلم لغاية التهكم والازدراء. وهنا

يكون على المتلقي أن يعيد فهم المعنى الحرفي للألفاظ مع سلوك المتكلم تجاه المعنى. وقد أطلقا على هذه النظرية اسم نظرية الإشارة، وذلك لأن المتكلم في أسلوب السخرية يشير إلى ألفاظ بعينها ذاكرا إياها وتكون قد وردت أو قيلت سابقا. بعبارة أخرى، كأن المتكلم حينما يشير إلى تلك الألفاظ ويذكرها يضعها بين علامتي تنصيص. وتكون هذه الألفاظ المشار إليها من جديد خرجت من سياقها الذي كانت قد وردت فيه سابقا، فيذكرها المتكلم في سياق جديد. والمتلقي عليه أن يلحظ اختلاف السياق. نضرب مثالا توضيحيا لما طرحه سبيربير وويلسون، لنفترض أن زيدا وأفراد عائلته قد قرروا القيام بنزهة للجلوس على شاطئ البحر وتناول الطعام هناك بعد أن سمعوا المتنبئ الجوي يقول: "الجو اليوم صحو مشمس مناسب لممارسة الأنشطة الخارجية". ولكن ما إن وصل زيد وأفراد عائلته إلى شاطئ البحر وجلسوا لتناول الطعام حتى بدأت السماء تتلبد بالغيوم وتمطر مطرا غزيرا، فالتفت زيد إلى عائلته قائلا: "لنرجع إلى السيارة سريعا، الجو اليوم صحو مشمس مناسب لممارسة الأنشطة الخارجية". إن زيدا أشار في كلامه إلى ألفاظ بعينها وذكرها في سياق جديد ومختلف. وأفراد عائلته أدركوا هنا أن زيدا يسخر من المتنبئ الجوي وتوقعاته الخاطئة.

أضاف سبيربير وويلسون ما أسمياه بالصدى (echoic) لنظرية الإشارة. وفيه يعيد المتلقي أحيانا ذكر ألفاظ قالها المتكلم من دون تغيير أو بتغيير طفيف ثم يعرب المتلقي عن سلوكه (attitude) موقفه باعتباره ردة فعله تجاهها. لنوضحه بهذا المثال، يقول أحمد وهو طالب في المرحلة الثانوية لأخته فاطمة: "أنا متفوق بمادة الرياضيات"، فتقول فاطمة: "أنت متفوق بمادة الرياضيات، هذا واضح جدا، فقد رسبت السنة الماضية فيها". المتكلم هنا يسمع صدى كلامه في كلام المتلقي من دون تغيير، ففاطمة أعادت ذكر كلام أحمد لتبين أنها سمعت كلامه كما أراد ثم تعرب عن عدم موافقتها لما قال. وقد يكون الصدى بتغيير طفيف، لنأخذ مثالا ذكره جورج ميلير (George Miller) وزملاؤه، يقول شخص لسارة: "الذي حدث ليس بسببي". فتقول سارة: "إذن هو بسببي أنا، هل هذا ما تقصده؟" (Miller, 1984, p. 113) المتكلم هنا يسمع صدى كلامه بتغيير طفيف يجريه المتلقي.

إذا كان الفهم التقليدي لأسلوب السخرية ينظر إلى أن المتكلم بالألفاظ السابقة، التي تحتوي على أسلوب سخرية، كان لا يريد معناها الحرفي وإنما يريد نقيض معناها، فإن سبيربير وويلسون في نظرية الإشارة يريان أن المتكلم يريد المعنى الحرفي وإنما أعاد ذكر الكلام في سياق مختلف أو نبرة صوت مختلفة، وهو الأمر الذي يجعل المتلقي يدرك أن إعادة المتكلم لذلك الكلام سخرية.

ترى نظرية الإشارة أن أسلوب السخرية يوظفه المتكلم في التحقير والاستهزاء والتهكم كما لاحظنا في الأمثلة السابقة، وليس في المديح والثناء والتقدير. وهي فكرة شائعة في دراسات السخرية السابقة لنظرية الإشارة، فقد ذكرها هربرت جرايس (Herbert Grice) من قبل: "لا يمكن أن أقول شيئا ساخرا إلا إذا كان ما سأقوله يعبر عن عدائية أو تهكمية أو شعور بالسخط أو التحقير" (Grice, 1975, p. 113-128).[٣] ويفسر سبيربير وويلسون ذلك بأن السبب يكمن في أن أسلوب السخرية يقوم على مخالفة الافتراضات السائدة. فالافتراضات السائدة في الأمثلة السابقة أن المتنبئ الجوي ستكون توقعاته الجوية دقيقة صحيحة، وأن أحمد متفوق بمادة الرياضيات، وأن سارة تتفق مع المتكلم في أنه لم يخطئ.

تجعل نظرية الإشارة لأسلوب السخرية ضحية أو ضحايا وهي الترجمة الحرفية لما أسمته بـ (victims)، والمقصود بذلك الشخص أو الأشخاص الذين تقع سهام الاستهزاء والتحقير عليهم. وترى النظرية بأن ضحية أسلوب السخرية كل من يؤمن بصحة الألفاظ التي تم ذكرها. ففي المثال الأول كان المتنبئ الجوي هو الضحية، وفي المثال الثاني كان أحمد الضحية، وفي المثال الثالث كان الشخص الذي وجه خطابه لسارة هو الضحية. والجامع بين هؤلاء الضحايا هو اعتقادهم صحة الألفاظ التي أعاد الساخرُ ذكرها. وقد يزداد الضحايا بحسب السياق. لو كان بصحبة أحمد وفاطمة أختهما مريم، وكانت تعتقد صحة الألفاظ (أحمد متفوق بمادة الرياضيات)، فإنها تكون حينئذ ضحية كذلك.

وقد نشر المؤلفان دراسة أخرى في سنة ١٩٨٦ (Sperber and Wilson, 1995)، يؤكدان فيها على دراستهما الأولى ويحاولان الإجابة عن سبب لجوء المتكلم إلى استخدام

أسلوب السخرية بدلا من الكلام الصريح. يريان أن السبب يكمن في أن أسلوب السخرية يوظفه المتكلم للاستهزاء والتحقير عن طريق سلوكه وتصرفه لا عن طريق ألفاظه. ومن ثم، فإن الألفاظ يشار إليها ويعاد ذكرها كما هي من سياق آخر ليفهمها المتلقي استهزاء وتحقيرا في سياقها الجديد.

كانت نظرية الإشارة هي أولى النظريات التي تخرج عن عباءة المنهج التقليدي في التعاطي مع أسلوب السخرية كما رأينا، لا سيما في رفض اعتبار أسلوب السخرية أنه ألفاظ يكون المعنى المراد منها نقيض المعنى الحرفي لها. وقد نجحت هذه النظرية في جذب أنظار الباحثين إلى حرث تربة البحث العلمي حول أسلوب السخرية.

٣. ٣. نظرية التظاهر:

في سنة ١٩٨٤ طرح هيربيرت كلارك (Herbert Clark) وريتشارد جيريق (Richard Gerrig) نظرية أطلقا عليها اسم نظرية التظاهر وذلك في بحث لهما بعنوان (On the Pretense Theory of Irony) (Clark and Gerrig, 1984) الذي يمكننا ترجمته بـ "حول نظرية التظاهر لأسلوب السخرية". يذكر كلارك وجيريق أنهما بعد أن اطلعا على نظرية الإشارة، قررا طرح نظرية جديدة يريان أنها تتفوق عليها.

يرى كلارك وجيريق أن المتكلم في أسلوب السخرية يتظاهر بأنه إنسان مغفل (في غفلةٍ من أمره)، وعلى المتلقي أن يكتشف هذا التظاهر. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: بأي شيء يتظاهر المتكلم الساخر؟ إذا رجعنا إلى مثالنا السابق حول زيد وأفراد عائلته، فإن زيدا عندما قال لأفراد عائلته: "الجو اليوم صحو مشمس مناسب لممارسة الأنشطة الخارجية"، فإنه يتظاهر بأنه إنسان مغفل، وكأنه لا يرى ما يجري حوله من أمطار غزيرة تهطل من السماء. والمتلقي (أفراد عائلته) يكتشف ذلك التظاهر. لهذا فإن المتلقي يشعر بلذة وهو يكتشف هذا التظاهر، لا سيما أن فهم المتلقي للسخرية يعتمد على مدى العلاقة الذهنية التي تربطه بالمتكلم الساخر أو تعتمد، على حد قول كلارك وجيريق، على "الأرضية المشتركة التي يتقاسمها المتلقي مع المتكلم الساخر" (Clark and Gerrig, 1984, p. 124).[٤] المتلكم

الساخر إذن لا يقول للمتلقي: "إنني أسخر". وإذا لم تكن ثمة علاقة ذهنية بين المتكلم الساخر والمتلقي، فإن السخرية قد لا تُفهَم أنها سخرية. وقد رفض كلارك وجيريق أطروحة نظرية الإشارة التي ترى أن المتكلم في أسلوب السخرية يعيد ذكر ألفاظ لا يريد معناها الحرفي. وذلك لأن ذكر المتكلم لألفاظ مع اشتراطنا لعدم إرادة معناها الحرفي يوقعنا في إشكالية تحديد ما سيفهمه المتلقي من ألفاظ المتكلم. أما نظرية التظاهر فإنها تتجنب الاعتماد على ما قد يفهمه المتلقي. فتربط السخرية بتظاهر المتكلم. لنرجع إلى المثال الأخير نفسه، عندما قال زيد لأفراد عائلته: "الجو اليوم صحو مشمس مناسب لممارسة الأنشطة الخارجية"، إذا تعاطينا مع هذه السخرية من منظور نظرية الإشارة فعلينا أن نتساءل عما فهمه المتلقي، وهنا نجد أنفسنا أمام احتمالات كثيرة، ربما أحد المتلقين فهم "الجو اليوم ممطر جميل مناسب للخروج بنزهة في السيارة"، وربما فهم غيره "الجو اليوم غائم ممطر غير مناسب إلا للبقاء في المنازل". أما إذا تعاطينا معها من منظور نظرية التظاهر، فإننا نفترض أن زيدا قد تظاهر في تلك اللحظات بأنه المتنبئ الجوي ويتلفظ بتلك الألفاظ لأنه في غفلة من أمره. ولسنا مضطرين، بحسب ما تراه نظرية التظاهر، إلى معرفة كيف فهم المتلقي تلك الألفاظ.

يحاول كلارك وجيريق في نظرية التظاهر إيجاد تفسير جديد لبعض القضايا التي تضمنتها نظرية الإشارة أو غفلت عنها. منها قضية التأثير المتناقض الجانبين (asymmetry of affect)، إذ يقول المتكلم الساخر مثلا "يا لها من فكرة ذكية" عن الفكرة الحمقاء، وهي النقيض تماما (Clark and Gerrig, 1984, p. 122)، أو يقول "إنه يتمتع بأخلاق رفيعة" عن إنسان له أخلاق وضيعة، وهي النقيض تماما. ترجع نظرية التظاهر السبب في ذلك إلى ما تم تقريره في البداية وهو أن المتكلم الساخر يتظاهر بأنه في غفلة من أمره. فالغفلة هي التي تجعله يصف تلك الفكرة الحمقاء بالذكاء، وتلك الأخلاق الوضيعة بالرفعة. تطرقت نظرية التظاهر كذلك إلى ما يسمى بـ "ضحية" أسلوب السخرية (victims) وقدمت طرحا جديدا لها، فترى النظرية أن للسخرية ضحيتين: الضحية الأولى هي الشخص المغفل الذي يتظاهر

المتكلم الساخر بأنه هو. والضحية الثانية هي المتلقي إذا لم يفهم أن الكلام سخرية. تناولت نظرية التظاهر قضية نبرة المتكلم الساخر (ironic tone of voice)، تؤكد النظرية على أن المتكلم الساخر يترك نبرة صوته الطبيعية بعيدا ويستعير بدلا منها نبرة صوت تتناسب مع التظاهر الذي يؤديه.

٣. ٤. نظرية الاستدعاء:

في سنة ١٩٨٩ طرح روجير كروز (Roger Kreuz) وسام جلوكسبيرج (Sam Glucksberg) نظرية الاستدعاء (reminder theory) في دراسة لهما (Kreuz and Glucksberg, 1989). يرى كروز وجلوكسبيرج أن أسلوب السخرية، إيجابيا كان أو سلبيا، مديحا أو ذما، يرتبط نجاحه باستثارة استدعاءٍ ما في ذهن المتلقي. وهذا الاستدعاء يستحضر في ذهن المتلقي تجارب سابقة معينة أو سلوكيات يتبعها المجتمع. وفرق المؤلفان في المستدعَى بحسب الغرض من أسلوب السخرية. إذا كان غرض السخرية ذما، مثل "يا لك من صديق رائع" (والمقصود أنه صديق سيئ)، فإنها لا تتطلب استدعاء تجربة سابق، وإنما تستدعي السلوكيات المتعارف عليها لدى المجتمع، فالسلوكيات والتصرفات والتوقعات المبنية عليها هي التي تجعل المتلقي يدرك أن هذه الألفاظ ساخرة. أما إذا كان غرض السخرية مديحا، مثل "يا لك من صديق سيئ" (والمقصود أنه صديق رائع)، فلا بد أن تستدعي هذه الألفاظ تجربة سابقة في ذهن المتلقي (Kreuz and Glucksberg, 1989, p. 375). يتحدث كروز وجلوكسبيرج عن المقصود بالتجارب السابقة. هي كل موقف أو حدث عايشه المتلقي سابقا ويمكنه استحضاره في سياق الألفاظ الساخرة، كما أن أساليب السخرية السابقة التي مر بها المتلقي سواء مستمعاً أو ضحية تشكل تجارب جيدة للاستدعاء.

وبناءً على فكرة الاستدعاء التي طرحتها تلك النظرية، فإن النظرية ترى أن أسلوب السخرية عندما يكون للذم فإن فهم المتلقي له يكون أسرع وأسهل مما لو كان للمديح (Kreuz and Glucksberg, 1989, p. 383). والسبب في ذلك يرتبط في طبيعة

المستدعَى، فاستدعاء السلوكيات والتصرفات المتعارف عليها لفهم أسلوب السخرية بغرض الذم أقرب لعقل الملتقي من استدعاء تجربة سابقة لفهم أسلوب السخرية بغرض المديح.

رغم إيجاز نظرية الاستدعاء، كان أهم ما طرحته تلك النظرية هو تأكيدها على أن أسلوب السخرية يكون للذم كما يكون للمديح، وهو الأمر الذي لم نجده لدى النظريات السابقة.

٣. ٥. نظرية النفي غير المباشر:

قدمت راتشيل جيورا (Rachel Giora) سنة **١٩٩٥** نظرية (indirect negation) (Giora, 1995)، التي يمكننا ترجمتها بالنفي غير المباشر. ترى جيورا أن أسلوب السخرية هو نوع من النفي، غير أنه لا يحتوي في ألفاظه على نفي صريح. وتؤكد جيورا في أكثر من موضع على وجود النفي الضمني مع الإثبات الصريح بالألفاظ، وتؤكد كذلك على أن أسلوب السخرية "يستضيف المعنيين الصريح والضمني" (Giora, 1995, p. 241). تضرب جيورا مثالا شارحا، لو قال قائل عن حفلة مملة يغلب عليها السأم: "كانت حفلة ماتعة" (Giora, 1995, p. 241)، فهذه الألفاظ الساخرة تحمل معنى صريحا وهو المعنى الحرفي للألفاظ وهو معنى مثبت غير منفي، كما أنها تحمل معنى ضمنيا وهو قريب من المعنى الحرفي إلا أنه منفي ضمنيا.

التساؤل هنا هل ثمة فرق بين النفي الصريح والنفي الضمني؟ تجيب جيورا عن هذا التساؤل فتفرق بين النفي الصريح والنفي الضمني (Giora, 1995, p. 242). النفي الصريح يجعل كل المعاني الأخرى الأعلى والأدنى متاحة محتملة، فلو قال ذلك القائل في المثال السابق: "لم تكن حفلة ماتعة" مستخدما النفي الصريح، فإن المعاني المثبتة الأخرى المحتملة قد تكون أعلى مثل: "بل كانت حفلة رائعة أسطورية"، كما أنها قد تكون أدنى مثل: "بل كانت حفلة سيئة". أما النفي الضمني فهو يجعل المعاني الأدنى هي المتاحة فقط، فعندما قال ذلك القائل بأسلوب السخرية: "هي حفلة ماتعة" بما تتضمنه الألفاظ من نفي ضمني، فإن المعاني المثبتة المحتملة هي الأدنى مثل: "بل كانت حفلة سيئة"، أو "بل كانت حفلة مملة"، أو "بل كانت حفلة فوضوية".

٣. ٦. نظرية عدم الملاءمة ذات الصلة:

طرح سالفاتور أتاردو (Salvatore Attardo) في سنة ٢٠٠٠ نظرية عدم الملاءمة ذات الصلة في دراسته المعنونة بـ (Irony as Relevant Inappropriateness) (Attardo, 2000) التي يمكننا ترجمتها بـ "أسلوب السخرية باعتباره عدم الملاءمة ذات الصلة". يقدم أتاردو أطروحة نظرية جديدة يرى فيها أن الألفاظ التي يكون فيها أسلوب سخرية تجمع بين أمرين: الأول هو عدم ملاءمة تلك الألفاظ مع السياق والثاني هو وجود صلة لتلك الألفاظ بالسياق. بدأ أتاردو بالتفريق، ولو بشكل مختصر، بين عدد من المصطلحات التي تتداخل مع أسلوب السخرية. من أهمها التهكم (sarcasm)، فجعله نوعا أقرب إلى الشتيمة والقذف لأنه عدائي جدا يحتوي على إشارات وتعليقات قاسية وواضحة تستهدف شخصا محددا. وتطرق إلى السخرية غير المقصودة (unintended irony)، وهي ألفاظ فهمها المتلقي على أنها أسلوب سخرية إلا أن المتكلم لم يكن يقصد ذلك.

تحدث أتاردو عما أسماه بـ "سلوك أسلوب السخرية" (the attitude of irony)، يرى أتاردو أن أسلوب السخرية ليس مقتصرا على التعبير عن السلوك السلبي للمتكلم مثل الازدراء والتحقير، وإنما قد يعبر عن السلوك الإيجابي مثل المديح والتقدير. يضرب على ذلك هذا المثال: "السيارات الأمريكية الصنع تتعطل بعد مئة ألف ميل"، فإن المتكلم هنا يعبر بأسلوب السخرية عن مديحه للسيارات الأمريكية الصنع وتقديره للصناعة الأمريكية.

انتقل أتاردو بعد إلى عرض موجز لما أسماه بـ (one-stage and two-stage theories) وهو ما يمكن ترجمته بنظريات أحادية المرحلة ونظريات ثنائية المرحلة. المقصود بالنظريات ثنائية المرحلة هو المنهج التقليدي في مقاربة أسلوب السخرية الذي يتكون من خطوتين لإدراك المتلقي للسخرية، الخطوة الأولى هي أن يرفض المتلقي اعتماد المعنى الحرفي للألفاظ، والخطوة الثانية هي أن يعيد تفسير الألفاظ بناءً على المعطيات التي من حوله. أما النظريات أحادية المرحلة فهي كنظرية الإشارة ونظرية التظاهر اللتين استعرضناهما آنفا.

يورد أتاردو بعض المآخذ النقدية على النظريات السابقة، منها أن تلك النظريات تعتمد على أن المتكلم أثناء أسلوب السخرية يعيد ذكر ألفاظ سبق أن تم التلفظ بها في سياق آخر أو يتظاهر بأنه شخص آخر، فالمتكلم يعيد ذكر تلك الكلمات أو يتظاهر بأنه قائلها الأصلي ولا يقر بصحتها، غير أن معرفة عدم إقرار المتكلم بصحة الألفاظ مع إيرادها مسألة شائكة. وإذا كان ذلك يعرف من السياق وهو ما تؤكد عليه نظريتا الإشارة والتظاهر، فإن هناك ما يسميه أتاردو بالسياق "الميت" (deadpan) (Attardo, 2000, p. 805)، إذ لا يكون السياق دالا على ما ذكرته النظريتان فيخلو السياق من أية علامة تدل على أن المتكلم ذكر ألفاظه ساخرا. ويضرب أتاردو مثالا على ذلك كما لو أنه قال: يجب أن نطرد جميع المهاجرين القانونيين وغير القانونيين إلى خارج الولايات المتحدة الأمريكية (Attardo, 2000, p. 806). فالألفاظ هكذا، حتى وإن كنا نرى قائلها، لا تدل على أسلوب السخرية، فالسياق يخلو من أية إشارات دالة على ذلك. ومن ثم، فإن المتلقي سيحكم على الألفاظ أنها ليست سخرية. أما حينما نعرف أن قائلها أتاردو هو من المهاجرين الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن المتلقي سيحكم على الألفاظ بأنها سخرية.

توقف أتاردو عند نظرية الاستدعاء التي استعرضنا أهم ملامحها آنفا، ورفض ما كانت قد أكدت عليه تلك النظرية وهو أن أسلوب السخرية حينما يكون غرضه الذم يكون أسهل إدراكا لدى المتلقي. يفرق أتاردو بين نقطتين: الأولى هي إدراك المتلقي أن في الكلام سخرية. والثانية إدراك للمعنى المقصود من السخرية. ويرى أتاردو أن ذلك مرتبط بالسياق، فالسخرية ظاهرة لغوية واقعية، هي تعتمد على سياق التكلم وما يتضمنه من إشارات لفظية وغير لفظية، السياق يشعر المتلقي بأن هناك معنى يختلف عن المعنى الحرفي للألفاظ التي نطق بها المتكلم. ومن ثم، فإن المعنى في أسلوب السخرية "استنتاجي لا يصرح به لفظا أبدا ولا يوجد النص" (Attardo, 2000, p. 814)[٥] ويعتمد كليا على السياق سواء كان للمديح أو للذم.

يقدم أتاردو تعريفا جديدا لأسلوب لسخرية قائلا: "إن السخرية هي ألفاظ غير ملائمة للسياق غير أنها على صلة به" (Attardo, 2000, p. 823).[٦] فيتلفظ المتكلم بألفاظ لا تتلاءم مع السياق التي قيلت فيه ولا تتناسب معه، لكنها في الوقت نفسه ألفاظ تربطها بالسياق صلة وعلاقة. لنأخذ مثالا نفهم عن طريقه أسلوب السخرية بناء على تعريف أتاردو: يقول زيد: الجو لطيفٌ اليوم (السياق: الجو عاصف والرياح تثير الغبار الشديد) (Attardo, 2000, p. 814).[٧] هذه الألفاظ لا تتلاءم مع السياق، فالألفاظ تصف الجو بأنه "لطيف" بينما السياق يُعْلمنا أن الجو ليس لطيفا مطلقا، فالألفاظ إذن ليست متناسبة مع السياق إلا أن الألفاظ في الوقت نفسه تدور حول الجو، فلها صلة تربطها بالسياق. وهنا تبدأ العملية الذهنية عند المتلقي لفهم أسلوب السخرية. ويشرحها أتاردو: "إن المتلقي عندما يتلقى الألفاظ من المتكلم يعلم أن المتكلم لا يقصد هذا المعنى، والمتكلم كذلك يعلم أن المتلقي يعلم ذلك [يعلم أن المتكلم لا يقصد ذلك المعنى]، ومن ثم، يعتمد المتكلم على أن المتلقي لن يكتفي بالمعنى الحرفي للألفاظ، وإنما سيبحث عن معان أخرى تم التلميح بها وهي أكثر تناسبا" (Attardo, 2000, p. 814).[٨] فعملية الإدراك في هذه النظرية ثنائية المرحلة: يرفض المتلقي قبول المعنى المتبادر إلى الذهن ابتداءً، ثم يبحث عن معنى آخر عن طريق معطيات السياق.

هذا أبرز ما طرحه أتاردو في نظرية عدم الملاءمة ذات الصلة، إذ حاول أن يبدأ من حيث انتهى من قبله من أصحاب النظريات التي عرضناها.

٤. أبرز إشكاليات نظريات أسلوب السخرية:

بعد فحص النظريات السابقة، يمكننا أن نصل إلى أبرز الإشكاليات النظرية التي لا تزال تعتري أسلوب السخرية، وهي تتمحور حول خمسة مطالب: تعريف أسلوب السخرية، واستبدال المعنى الساخر وقلبه، والمستهدف أو الضحية، والمديح والذم، والوظيفة التقريرية. نناقش فيما يأتي هذه المطالب ونقترح تصورات جديدة لها.

٤. ١. تعريف أسلوب السخرية:

لنأخذ هذه الأمثلة بدايةً، نسمع كثيرا عبارات إيجابية لوصف حالات سلبية مثل (١) "يا له من جو جميل اليوم" (يقولها أحمد لصديقه في يوم شديد الغبار) للتعبير عن الجو السيئ، و(٢) "رباه والداه أفضل تربية" (يقولها أستاذ لزميله عن تلميذ تلفظ عليه بكلمات بذيئة) للتعبير عن سوء التربية، و(٣) "شكرا لتعاونك معي" (تقولها فاطمة لأخيها الذي لم يساعدها) للتعبير عن لومه لعدم تعاونه، ونسمع كذلك عبارات سلبية لوصف حالات إيجابية مثل (٤) "عقلك يعجز عن فهم الرياضيات" (تقولها أمٌّ لولدها بعد حصوله على درجة كاملة باختبار الرياضيات) للتعبير عن تفوقه في الرياضيات، و(٥) "سنقضي مع والدنا وقتا مملا" (يقولها أبٌ لأولاده في نهاية نزهة ماتعة) للتعبير عن فرحهم بالنزهة.

تعرف هذه الدراسة أسلوب السخرية أنه مخالفة المتكلم لتوقعات المتلقي مع اعتماده على مرجعية مشتركة بينهما. إن تعاطينا مع أسلوب السخرية ورسم تعريف له يتطلب منا معالجة مسألتين: الأولى كيف يكتشف المتلقي وجود سخرية في ألفاظ المتكلم؟ والثانية كيف يصل المتلقي إلى المعنى المقصود من الألفاظ الساخرة؟ يكتشف المتلقي وجود سخرية إذا خالف المتكلم توقعاته. ونريد أن نؤكد على "مخالفة التوقعات" وليس "نقيض التوقعات"، فمخالفة التوقعات يندرج تحتها كل ما يختلف عن توقعات المتلقي مثل الاختلاف الطفيف أو الاختلاف الذي يصل إلى حد التناقض. والمتلقي يبني توقعاته على ما يراه حوله من السياق. في المثال رقم ١ كانت توقعات المتلقي أن يقول أحمد عبارة مثل "يا له من جو سيئ"، وهي توقعات لم تنشأ في ذهن أحمد من فراغ، وإنما لما رآه من سوء جو ذلك اليوم. وكذلك لو انتقلنا إلى بقية الأمثلة، ففي المثال رقم ٢ كان يتوقع المتلقي أن يقول الأستاذ عبارة مثل "لم يحسن والدا ذلك الطالب تربيته"، وقد بنى المتلقي توقعاته لما سمعه من كلمات بذيئة تلفظ بها الطالب تجاه الأستاذ. وفي المثال رقم ٣ كان يتوقع المتلقي أن تقول فاطمة عبارة مثل "تكاسلك عن مساعدتي صفة ذميمة"، وذلك بناء على السياق لأنه لم يقدم يد العون لفاطمة. وفي المثال رقم ٤ كان يتوقع المتلقي أن تقول له أمه عبارة مثل

"عقلك تفوق في الرياضيات"، وقد بنى توقعه على السياق إذ حصل على درجة كاملة باختبار الرياضيات. وفي المثال رقم ٥ كان يتوقع المتلقون أن يقول والدهم عبارة مثل "لقد قضيتم معي وقتا ممتعا"، وهذا التوقع نشأ من السياق، فقد قضوا مع والدهم نزهة مسلية ماتعة.

نجد أن الرابط بين أمثلة أسلوب السخرية السابقة مخالفة المتكلم للمتوقع لدى المتلقي. مخالفة المتوقع هي مفاجأة بالنسبة للمتلقي، وهي مفاجأة تكشف له عن وجود ألفاظ ساخرة، لأن الألفاظ التي تلقاها من المتكلم مخالفة تماما لما يتطلبه السياق الذي يضم المتلقي والمتكلم معاً. وهذه المفاجأة كذلك تستثير ذهن المتلقي لتجعله يمسك بتلك الألفاظ التي تلقاها من المتكلم لا ليتوقف عندها ويأخذ بمعناها وإنما لينطلق منها إلى البحث عن معان ضمنية تتناسب مع السياق الذي يضم المتلقي والمتكلم معا. ويصل المتلقي إلى المعنى الضمني المقصود عن طريق المرجعية المشتركة التي تجمع بينه وبين المتكلم. حينئذٍ يبدأ ذهن المتلقي الذي اكتشف وجود ألفاظ ساخرة بالبحث في تلك المرجعية عن مفاتيح للوصول إلى المعنى الضمني المقصود. ووجود هذه المرجعية أمر حتمي، "يجب على المتكلم الساخر أن يجعل هناك بعض الإشارات" (Amante, 1981, p. 83).[٩] وهذه المرجعية المشتركة تشمل مواقف سابقة جمعت بين المتكلم والمتلقي أو أحاديث سابقة بينهما أو تجارب سابقة لهما، وتمتد كذلك لتشمل لغة الجسد التي يعرفانها وكذلك نبرة الصوت التي اعتادا عليها، وكانت بارتيكا روكويل (Particia Rockwell) قد أثبتت عن طريق دراسة مختبرية تأثير نبرة الصوت (Rockwell, 2000)، وهو تأثير لا يقل عن تأثير العوامل الأخرى مثل المواقف السابقة في توجيه ذهن المتلقي إلى أن الأسلوب سخرية.

٤. ٢. استبدال المعنى ونقيضه:

ما العملية التي تتم على معنى الألفاظ الساخرة؟ هل يتم قلبه إلى المعنى المخالف أم يتم استبداله؟ العمليتان محتملتان. والمقصود بقلبه إلى المعنى المخالف أن يأتي أسلوب السخرية معبرا عن المعنى النقيض أو القريب من النقيض، أو أن يأتي مثبتا معبرا عن النفي. والمقصود باستبدال المعنى أن يكون المعنى المراد لا يصل إلى النقيض ولا يقترب منه وليس

مجرد نفي لإثبات. المثال رقم ٢ تجري عليه عملية قلب، فقد قال الأستاذ عن الطالب البذيء: "رباه والداه أفضل تربية" للتعبير عن "رباه والدها أسوأ تربية" أو "لم يربه والداه أفضل تربية". المثال رقم ٣ يوضح عملية استبدال المعنى، قالت فاطمة لأخيها: "شكرا لتعاونك معي"، هنا تعبر فاطمة عن شيء من اللوم والعتاب لتكاسل أخيها، فالمعنى المراد لا يصل إلى حد النقيض ولا يقترب منه، وإنما تم استبداله بآخر.

٤. ٣. المستهدف أو الضحية:

نرى في أطروحتنا هذه أن السخرية تتركز على مستهدفين اثنين: الأول الألفاظ، والثاني من كان يؤمن بصحة معاني تلك الألفاظ. وهذان هما مستهدفا أسلوب السخرية، وليس بالضرورة اجتماع هذين المستهدفين في كل سخرية. ويجدر أن نذكر أن كلمة "مستهدف" ليست ترجمة حرفية للمصطلح المتعارف عليه في الخطاب النقدي الأجنبي وهو (victim) إذ إن ترجمته الحرفية "ضحية" وهو مصطلح شائع الذكر في الدراسات الأجنبية لأسلوب السخرية للتعبير عن الشيء أو الشخص المقصود من أسلوب السخرية مديحا أو ذما. لنرجع إلى بعض الأمثلة السابقة. في المثال رقم ١ يقول أحمد لصديقه في يوم شديد الغبار سيئ الأجواء: "يا له من جو جميل"، إن المتكلم هنا يوجه سهام الذم والاستهزاء لألفاظ هذه العبارة "يا" + "له" + "من" + "جو" + "جميل" وأنها غير مناسبة لجو ذلك اليوم، سواء قد تلفظ بهذه الألفاظ شخص قبل أحمد مثل المتنبئ الجوي أو صديق أحمد، أو لم يتلفظ بها أحد. فالمتكلم الساخر يقصد الألفاظ بحد ذاتها، ثم إذا كان لتلك الألفاظ من يؤمن بصحة معناها فإنه مستهدف ثانٍ لأسلوب السخرية. المثال رقم ٢ جيد كذلك، يقول الأستاذ لزميله عن تلميذ بذيء: "رباه والداه أفضل تربية". الأستاذ هنا يستهزئ بهذه الألفاظ وبأنها غير مناسبة لذلك التلميذ في ذلك السياق، بغض النظر ما إذا كانت هذه الألفاظ "رباه" + "والداه" + "أفضل" + "تربية" قد قيلت سابقا أو لم تقل، بل إن الاحتمال الأرجح هنا أنه لم يسبق لأحد أن قال عن ذلك التلميذ السيئ الأخلاق إن والديه قد ربياه أفضل تربية. والأمر نفسه متحقق في أسلوب السخرية بغرض المديح. في المثال رقم ٤ عندما تقول الأم لولدها

الذي حصل على درجة كاملة باختبار الرياضيات: "عقلك يعجز عن فهم الرياضيات"، فإن الألفاظ بحد ذاتها "عقلك" + "يعجز" + "عن" + "فهم" + "الرياضيات" مستهدفة هنا.

٤. ٤. أسلوب السخرية مديحا وذما:

لا نسلم بأن أسلوب السخرية مقتصر على الذم، وإنما يمتد ليشمل الذم والمديح. وتأكيدنا على أن أسلوب السخرية يأتي للذم وللمديح يخالف ما كان قد ذهب إليه عدد من الباحثين مثل أتاردو وكروز وزميلته (Attardo, 2000, p. 812; Kreuz and Link, 2002, p. 128)، فقد ذكروا أن أسلوب السخرية يكون للذم مثل التحقير والاستهزاء، وقد عزوا السبب في ذلك إلى "التوقعات الثقافية" فيكون الإنسان، على حد قولهم، يتوقع في الأشياء "النجاح، وفي الأجواء الجمال... إلى آخره" (Kreuz, 2002, p. 128). لا نتفق معهم فيما ذهبوا إليه، ونرى، كما ذكرنا آنفا، أن التوقعات لدى المتلقي هي توقعات سياقية لا توقعات ثقافية. والمثالان رقم ٤ ورقم ٥ يثبتان ذلك بوضوح، فالمتكلم في مثال رقم ٤ حينما قال للمتلقي "عقلك يعجز عن فهم الرياضيات"، خالف توقعه، والمتكلم في مثال رقم ٥ حينما قال للمتلقي "سنقضي مع والدنا وقتا مملا"، خالف توقعه كذلك، إلا أنها مخالفة للتوقع السياقي. إن السياق، وليس الثقافة، جعل ذهن المتلقي يتوقع أشياء أخرى. ونجد أن الباحثين في الآونة الأخيرة بدؤوا يدركون أن أسلوب السخرية ليس مقتصرا على الذم فحسب. تذكر مارتا دينيل (Marta Dynel) هذا المثال على أسلوب السخرية بغرض المديح قائلة: "المثال "أنت أخفقت" عندما يقال لطالب حصل على درجات جيدة جدا بعكس ما كان يدعيه بأنه قد يرسب" (Dynel, 2014, p. 541).[١٠] أسلوب السخرية هنا جاء مادحا.

٤. ٥. الوظيفة التقريرية لأسلوب السخرية:

لماذا يفضل المتكلم أسلوب السخرية على غيره؟ إن أسلوب السخرية فيه نوع من التأدب، وهو ما أكد عليه كثير من الباحثين (Dyne, 2014, p. 541; Giora, 1995, p. 246). في المثال رقم ٣ كان استخدام فاطمة لأسلوب السخرية في قولها "شكرا لتعاونك معي" عند حديثها لأخيها كان أكثر تأدبا من ألفاظ أخرى بذيئة قد توجهها له، كما أن أسلوب

السخرية يجنب صاحبه المواجهة أو على أقل تقدير يخفف من حدة المواجهة كتلك التي قد تنشأ بين فاطمة وأخيها في حال غضبه مما تلفظت به. هذه وظيفة تواصلية مهمة يؤديها أسلوب السخرية، ويمكننا عن طريقها تفهم سبب تفضيل المتكلم أسلوب السخرية على غيره من الأساليب أحيانا، غير أن هذا نجده متحققا في أسلوب السخرية الذي بغرض الذم فحسب، أما فيما يأتي لغرض المديح، فإن هذه الوظيفة لا تتناسب معه. ومن ثم، فإننا نرى أن لأسلوب السخرية وظيفة أخرى، بجانب التأدب، إلا أنها أكثر شمولية منه إذ إنها تتناسب مع أسلوب السخرية بغرضيه الذم والمدح، وهي التقرير. والتقرير مصطلح بلاغي بمعنى إثبات المعنى وتأكيده في ذهن المتلقي ليقر به في قرارة نفسه، وهو شائع في عدة أساليب بلاغية مثل أسلوب الوصل والفصل وأسلوب الاستفهام (السكاكي، ٢٠٠٠، ص ٣٧٧ و٤٢٦). إن المتكلم الساخر حينما يرمي إلى معنى ضمني (لا يصرح به شفهيا أو كتابيا) يخالف معطيات السياق ليفهمه المتلقي، فإنه يجعل ذلك المعنى يقر في قرارة نفس المتلقي ويتأكد.

٦. الخاتمة:

تتبعنا في هذه الدراسة التطور النظري لأسلوب السخرية تتبعا تاريخيا ابتداء من سبعينيات القرن الماضي وعرضنا أهم نظرياته، وهي أطروحة جرايس، ونظرية الإشارة، و نظرية التظاهر، نظرية الاستدعاء، نظرية النفي غير المباشر، نظرية عدم الملاءمة ذات الصلة، وقدمنا حلولا لأبرز الإشكاليات النظرية، ومن ثم نصل إلى هذه

النتائج والتوصيات:

- على صعيد الدرس النقدي الأجنبي، يتبين لنا أنه على الرغم من نضج أدوات أسلوب السخرية ونضج إجراءات التعاطي معه، لا تزال ثمة إشكاليات نظرية تعتريه.
- طرحت الدراسة بعض التصورات الجديدة، من أهمها تعريف أسلوب السخرية وأغراضه وعملية فك شفراته لدى المتلقي، وهي أطروحات علاجية لأبرز مواضع الاضطراب التي لاحظناها عند تفحص النظريات السابقة.

- تؤكد الدراسة على أن أسلوب السخرية يكون للذم وللمديح، وقد اعتمدت الدراسة في ذلك على أن توقعات المتلقي في أسلوب السخرية هو توقعات سياقية، وهي أولى وأرجح من التوقعات الثقافية التي اعتمد عليها الباحثون الذين يرون أن أسلوب السخرية مقتصر على الذم.
- تضيف الدراسة الوظيفة التقريرية لأسلوب السخرية باعتبارها وظيفة شائعة في بعض أساليب البلاغة العربية.
- أسلوب السخرية أسلوب بلاغي جديد في الدرس البلاغي العربي. فلا نكاد نجد له ذكرا في كتب البلاغة العربية، أما في الدراسات النقدية الحديثة، فنجد خلطا واضحا بين السخرية بمعنى الضحك والفكاهة وبين السخرية باعتبارها أسلوبا بلاغيا. وهذا الخلط يسوغه ضعف الجانب النظري الذي لا يزال يعاني من إشكاليات تحتاج إلى أن يلفت إليها الباحثون.
- إذا كانت هذه الدراسة قد نجحت في تتبع أسلوب السخرية لملاحظة تطوره النظري وفي عرض أبرز نظرياته للدارس العربي، فإننا ندعو الباحثين العرب إلى إجراء دراسات تطبيقية بناء على التصورات المطروحة في دراستنا.

الهوامش :

[١] النص بلغته الأصلية:

[In] irony… we understand something which is the opposite of what is actually said.

[٢] النص بلغته الأصلية:

A and B are walking down the street, and they both see a car with a shattered window. B says, look, that car has all its window intact. A is baffled. B says, you didn't catch on; I was in an ironical way drawing your attention to the broken window.

[٣] النص بلغته الأصلية:

I cannot say something ironically unless what I say is intended to reflect a hostile or derogatory judgment or a feeling such as indignation or contempt.

[٤] النص بلغته الأصلية:

A listener's understanding of an ironic utterance depends crucially on the common ground he or she believes is shared by the ironist and the audience.

[٥] النص بلغته الأصلية:

… inferred, it is never said, i.e. found in the text itself.

[٦] النص بلغته الأصلية:

Irony is essentially an inappropriate utterance which is nonetheless relevant to the context.

[٧] كان سياق الجو في المثال الذي ذكره أتاردو ماطرا، غير أنني غيرت السياق.

[٨] النص بلغته الأصلية:

The reconstruction of the ironist's intended meaning is supposed to be based on a set of shared presuppositions: H knows that S cannot mean M, and S knows that H knows that, and therefore S can count on the fact that H will not stop at S's literal meaning M, but rather look for a more suitable meaning among the infinite set of other meanings which may have been implicated by S.

[٩] النص بلغته الأصلية:

It is mandatory that some clue to irony be provided by the ironist.

[١٠] النص بلغته الأصلية:

Example: "you've bungled it" said to a student that has earned a very good mark, contrary to his earlier claim that he would fail.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

ابن منظور. (١٩٨١). لسان العرب، ط١، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف.

حفني، عبدالحليم. (١٩٩٢). التصوير الساخر في القرآن الكريم، ط١. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السكاكي، يوسف بن محمد. (٢٠٠٠). مفتاح العلوم، تحقيق عبدالحميد هنداوي، ط١. بيروت، دار الكتب العلمية.

عبدالعالي، حافظ كوزي. (٢٠١٢). السخرية الهادفة في شعر أحمد مطر. مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد ١، عدد ١٥، ١٤٩-١٩٤.

العسكري، محمد. (٢٠١٢). سخرية الماغوط في العصفور الأحدب. مجلة دراسات في اللغة العربية. العدد ٨، ٥١-٧٤.

العفيف، فاطمة. (٢٠١٦). الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر: محمد الماغوط ومحمود درويش وأحمد مطر. دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، العدد ٣، ٢٤٣٥-٢٤٤٧.

مطلوب، أحمد. (١٩٨٦). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط١. بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

وهبة، مجدي والمهندس، كامل. (١٩٧٤). معجم المصطلحات في الأدب واللغة، ط١. بيروت، مكتبة لبنان.

يعقوب، إميل وعاصي، ميشال. (١٩٨٧). المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط١. بيروت، دار العلم للملايين.

المصادر والمراجع الأجنبية:

Amante, David J. (1981). The Theory of Ironic Speech Acts. Poetics Today, vol. 2, 77-96.

Attardo, Salvatore. (2000). Irony as Relevant Inappropriateness. Journal of Pragmatics, 32, 793-826.

Booth, Wayne. (1974). A Rhetoric of Irony. Chicago, the University of Chicago Press.

Clark, Herbert and Gerrig, Richard. (1984). On the Pretense Theory of Irony. Journal of Experimental Psychology, vol. 113, no. 1, 121-126.

Dynel, Marta. (2014). Linguistic Approaches to (Non)humorous Irony. International Journal of Humor Research, vol. 27(4), 537-550.

Giora, Rachel. (1995). On Irony and Negation. Discourse Processes, vol. 19, 239-264.

Giora, Rachel. (1995). On Irony and Negation. Discourse Processes, vol. 19, 239-264.

Grice, H. P. (1978). Further Notes on Logic and Conversation. Syntax and Semantics, vol. 9, 113-128.

Grice, P.H. (1975). Logic and conversation. Speech acts: Syntax and semantics, vol. 3, 41-58.

Grice, Paul. (1975). Studies in the Way of Words. Cambridge, Harvard University Press.

Hutcheon, Linda. (1992). The Complex Functions of Irony. Revista Candiense de Estudios Hispanicos, vol. xvi, 2, 219-234.

Kreuz, Roger and Glucksberg, Sam. (1989). How to be Sarcastic: The Echoic Reminder Theory of Verbal Irony. Journal of Experimental Psychology, vol. 118 (4), 374-386.

Kreuz, Roger and Link, Kristen. (2002). Asymmetries in the Use of Verbal Irony. Journal of Language and Social Psychology, June 2002, 127-143.

Miller, George. (1984). Test of the Mention Theory of Irony. Journal of Experimental Psychology, vol. 113, no. 1, 112-120

Quintilian. (2015). The Complete Works of Quintilian, translated by H. Butler. Hastings, Delphi Classics, 2015. Book IX, p. 17.

Rockwell, Particia. (2000). Lower, Slower, Louder: Vocal Cues of Sarcasm. Journal of Psycholinguistic Research, vol. 29, no. 5, 483-495.

Sperber, Dan and Wilson, Deirdre. (1981), Irony and the Use-Mention Distinction. In Radical Pragmatics, Edited by Peter Cole.

Sperber, Dan and Wilson, Deirdre. (1995). Relevance: Communication and Cognition. 2nd Edition. Cambridge, Blackwell.